ديناميكية اللفظ القرآني وأثرها في توليد الدلالة

أ.م.د. محمد ياسين الشكري

جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، العراق

الهاتف: 07800202017 – 07714151414

البريد الإلكتروني: mamedalchukra@gmail.com

الاستلام	٢٠١٧\٧\١	المراجعة	٢٠١٧\٨\٥	النشر	٢٠١٧\٨\٣١

الملخص:

قد يحمل العنوان نوعا من الغرابة ، إلاّ أننا نقول : إنّ المراد من هذا العنوان هو حركية اللفظ - التغيرات التي تطرأ على اللفظ -، أي بيان المساحة اللغوية التي يمكن للفظ أن يعمل فيها وتكون دلالاته متنوعة بحسب المقام الذي يرد فيه اللفظ، وفي ضوء هذا نقول: إنّ التعبير القرآني يتميز باستعماله الرائع للألفاظ التي ترد فيه، فمن المتابعة الدقيقة للألفاظ القرآنية يلحظ أن القرآن الكريم يستعمل كل لفظ في ضوء المقام الذي يرد فيه تبعا لماهية اللفظ القرآني، واللفظ القرآني يمتاز بديناميكية خاصة به في استعمالاته، والديناميكية تعني الحركية، والحركية تعني التغيير، والتغيير متعدد الاتجاهات، فمنه التغيير في الصيغة (الهيأة)، ومنه التغيير في الحركة، ومنه التغيير في الاسلوب (الموضع - التقديم والتأخير - الحذف، وغيرها)، والتغيير ينتج عن الاختيار، أي إنّ اللفظ القرآني يخضع للتغيير عن طريق الاختيار، والاختيار وجه من الوجوه البلاغية، وهو وجه مهم حيث يؤدي أثراً كبيرا في توليد المعنى.

والاختيار هو: استخدام لفظ ما، لدقته في التعبير عن المعنى المراد بدلا عن لفظ آخر يقتضيه السياق. وعليه فإن البحث سيكون على مقدمة ومبحثين، أما المقدمة ففيها بيان لأسباب اختيار الموضوع، وبيان لأهميته. وأمّا المبحث الأول الأول منها فكان تحت عنوان: **ديناميكية الصيغة**، والثاني تحت عنوان : **ديناميكية الحركة**.

فالقرآن الكريم جاء ليستخدم الحروف والألفاظ نفسها التي يستخدمها البشر في التعبير عن المعاني التي تدور بخواطرهم، لكنه جاء بدقة متناهية في اختيار الألفاظ التي يستخدمها في التعبير عن المعاني المرادة، وما ذلك إلا لأن قائله هو الله سبحانه وتعالى الذي خلق البشر والكون كله، وكانت بلاغة البشر على قدر علمهم بمقتضى حال المخاطب، وعلم البشر بأحوال المخاطبين محدود أما علم الله بخلقه فلا حد له، ومن هنا استمد القرآن بلاغته. أي إنّ القرآن الكريم جاء بحروف وألفاظ العربية نفسها، إلاّ أنه جاء بأسلوب لم يكن مألوفا في النظم العربي من خلال اختياره للألفاظ اختياراً يكاد يكون خاصاً به، ومنفردا به عن الأساليب جميعاً .

الكلمات المفتاحية:

ديناميك، لفظ، قرآن، أثر، توليد، دلالة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

The dynamics of Quranic pronunciation And their impact in generating significance

Prof. Mohammed Yassin Shukri

University of Kufa, College of Education for Girls, Iraq
Mobile: 07800202017 - 07714151414
Email: mamedalchukra@gmail.com

Received	1/7/2017	Revised	5/8/2017	Published	31/8/2017

Abstract:

The title may be strange, but we say: The meaning of this address is the mobility of the word - changes in the word - that is, the statement of the linguistic area in which the word can work and the implications are varied according to the place where the word is spoken, We say that the Quranic expression is characterized by its wonderful use of the words in which it is mentioned. It is a careful follow-up to the Quranic verses, noting that the Holy Quran uses every word in the light of the place where it is given according to the meaning of the Quranic pronunciation. The Quranic pronunciation is characterized by its own dynamics in its uses. Means change; the change is a result of the choice, ie, the Quranic pronunciation is subject to change by choice, and the choice of the face of rhetorical faces, an important aspect where it has a significant impact in generating meaning.

The choice is: to use a term, for its accuracy in expressing the meaning in place of another term required by the context. Thus, the research will be on three topics, the first of which is entitled: The dynamics of the formula, the second under the title: dynamics of movement and the third is under the title: the dynamics of style.

The Holy Quran came to use the same letters and words used by humans to express the meanings that revolve in their minds, but he came very accurately in the choice of words used to express the desired meanings, and that is only because the Almighty God Almighty created the human beings and the whole universe, Human beings as far as they know according to the situation of the addressee, and human knowledge of the conditions of the interlocutors is limited, but the knowledge of God's creation is limitless, and hence the Koran derives its rhetoric. In other words, the Holy Quran came in the same Arabic letters and phrases, but it came in a style that was not common in Arab systems by choosing words almost as a special choice, and apart from all methods.

Key words:

Dynamics, Pronunciation, Quran, Impact, Generating, Significance.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

المقدمة

لمّا كان البحث في ديناميكية اللفظ القرآني وأثرها في المعنى، فلابد من التذكير بأن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب نفسها، بل في حروف هذه اللغة نفسها، فالتركيب القرآني لم يكن غريبا على العربي من حيث لغته وحروفه، وإنّما جاء التركيب القرآني بإسلوب جديد لم يكن مألوفا في النظم العربي، أي إنّ القرآن الكريم له أسلوب يتفرد به من سائر النصوص اللغوية الأخرى، فهو كلام الله ومعجزة رسول الله وله من الخصائص ما يميزه عن أساليب البشر بما فيهم الأنبياء، ولذلك نجده عصيًا على كل تأويل مهما اجتهد العلماء فيه، ولمفرداته أبعاد ومديات اقترانية لا يدركها كثير من الناس، وله دقة كبيرة في اختيار الألفاظ وموافقتها للمناسبات التي ترد فيها، وقد أدرك العرب سر الجمال في إيثار مفردة على أخرى مع اتفاق المعنى فعرفوا عند ذاك أنّ سر الإعجاز يكمن في دقة اختيار اللفظ في النظم القرآني.

على أننا نجد التعبير القرآني معتمدا على المقام في استعماله للفظ، ففي استعمال المشتقات وما يتصل بها، نجد القرآن يستعمل اسم الفاعل مرة والصفة المشبهة مرة أخرى، على الرغم من أنّ السياقين متماثلين. وكذلك في استعمال أبنية الجموع، فإنّ القرآن الكريم ينماز بخصوصية في المزاوجة بين هذهِ الجموع وأبنيتها المختلفة فهو يستعمل جمع السلامة مرة وجمع التكسير مرة أخرى في سياق متماثل وقد يستعمل وزنا من أوزان جمع التكسير في سياق ويبتعد عنه في سياق آخر. على أن هذا التنوع في الاستعمال القرآني، إنما يحدث لأغراض دلالية يقصدها المنشئ لأن دلالة جمع السلامة غير دلالة جمع التكسير. زيادة على ذلك نجد القرآن الكريم يذهب الى تنوع استعمالاته لصيغ التعدية، على أن التعدية في النحو: يقصد به تحويل الفعل اللازم إلى فعل متعدٍ بإحدى طرق التعدية المعروفة في اللغة، وفي اللغة أكثر من طريقة لتعدية الأفعال اللازمة، من تلك الطرق: زيادة الهمزة في أول الفعل اللازم وتسمى همزة التعدية وذلك بتحويل صيغة (فعل) اللازمة إلى صيغة (افعل) المتعدية فيصبح الفاعل مفعولا، فتقول (ذهب واذهب، نزل وانزل، خرج واخرج). وتعد التعدية من أهم الدلالات التي تنصرف إليها صيغة (افعل) وتسمى هذه الهمزة همزة التعدية.

ومن الطرق الأخرى للتعدية تضعيف عين الفعل فيتحول من صيغة اللزوم إلى التعدية نقول: (كسر وكسّر، خرج و خرّج) وهكذا.

والقرآن الكريم بوصفه النص الأرقى بلاغيا، استعمل طائفة من صيغ التعدية سواء أكانت التعدية بزيادة الهمزة أم بتضعيف العين، ونجد اجتماع الصيغتين في تركيب واحد.

ومن جانب آخر نجد ديناميكية اللفظ من خلال حركته - في بنية المفردة أو في آخرها التي تسمى حركات الاعراب - ولها أثرٌ كبير في توجيه المعنى، على أن الحركات تُعَدّ من أهم ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات. وينبغي التذكير بأن اختلاف الحركة في بنية المفردة القرآنية يمنحها دلالة مضافة تجعلها قادرة من الدخول في سياق جديد لتؤدي وظيفة جديدة لم تكن موجودة قبل تغيير الحركة، ولذلك نجد الألفاظ التي جرى تغيّر في حركات أبنيتها تستعمل في سياقات مختلفة.

ولمّا كان الدرس اللغوي يشير الى ميل اللغة نحو السهولة واليسر في نطق المفردات، بل تحاول التخلص من مواطن الثقل من خلال وسائل يسلكها المتكلم ساعيا الى التخفيف، ومنها الإدغام والإبدال والميل إلى تجانس الحركات حتى أصبح التخفيف من العلل التي يلجأ إليها النحاة في كثير من تعليلاتهم النحوية فيحذفون الحركة والحرف والكلمة من اجل التخفيف، ويدغمون المتماثل من الحروف ويغيرون المتنافر من الحركات من اجل التخفيف وينحتون الجمل بكلمة واحدة من اجل التخفيف وهكذا.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

وزيادة على ما تقدم فإنّ القرآن الكريم استعمل حركية اللفظ في الاسلوب الذي ينتج عنه التركيب، والتركيب هو الأساس في بناء الدرس النحوي وهو الذي يوفر طائفة كبيرة من الدلالات بحسب ما يطرأ عليه من تغيّر أسلوبي كالفصل والوصل والزيادة والنقص والحذف والذكر والتقديم والتأخير واختلاف الحركة الإعرابية وغير ذلك.

ومما يلفت النظر في التعبير القرآني أننا نجد فيه ربطا كبيرا بين الدلالة وطبيعة التركيب، فقد نجد تركيبين متماثلين من حيث الألفاظ والتراكيب المستعملة في بنائهما غير أن بينهما نوعا من التغيّر الأسلوبي يرتبط بمقاصد دلالية، وهذا التغاير يشمل المفردات زيادة ونقصا وتقديما وتأخيرا وكذلك حركات الإعراب ولا ريب في أن هذا التغاير يرتبط في سياق المقال وسياق الحال.

وعليه فإن البحث سيكون على مقدمة كان فيها أسباب اختيار الموضوع، وبيان لأهميته، ومبحثين، الأول منها تحت عنوان: ديناميكية الصيغة، والثاني تحت عنوان: ديناميكية الحركة. على أن ديناميكية التركيب سيتم تناوله في بحث مستقل.

المبحث الأول: ديناميكية الصيغة

ينبغي التذكير بأن الكلام في سياقاته المختلفة لا يجري على نمط واحد، وإنما ينحرف في بعض مساراته عن المعهود في الاستعمال من حيث استعمال المفردات والأدوات والتراكيب، على أن القصد من إحداث هذه التحولات في الأسلوب هو بناء دلالات جديدة تضاف إلى الدلالات التي يحددها سياق الاستعمال، ومن هنا يسعى المنشئ إلى إحداث تغيير في استعمال اللفظة داخل التركيب عبر استعمال صيغة بعينها بدلاً عن أخرى، أو إجراء تغيير في الحركة التي تمثل حركة إعراب أو بناء وغير ذلك من صور التحول في النصوص الأدبية. ويبدو هذا الأمر أكثر وضوحا في التراكيب المتماثلة في أسلوب بنائها وألفاظها.

ويمكن أن نجد صورا من ذلك في استعمال المترادفات من الألفاظ وصيغ الجموع واستعمال الأدوات النحوية وغيرها من صيغ الأبنية التي تؤلف النصوص ومنها القرآن الكريم.

ولا يقتصر الأمر على هذا وإنما يدخل فيه ما يطرأ على التركيب من حركية في بنائه كالحذف والذكر والتقديم والتأخير والفصل والوصل والزيادة والنقص، وقد اتضح من خلال متابعة النصوص المتشابهة في تراكيبها أنّ هذه الظاهرة تمثل ميداناً واسعاً في التعبير القرآني. وقد لفتت أنظار الدارسين قديما وحديثا. لان اتساع هذا الظاهرة يخفي وراءه مقاصد دلالية أراد المنشئ إيصالها إلى المتلقي المقصود بالخطاب لكي تؤثر فيه سلبا أو إيجاباً وتحمله على الالتزام بما ورد فيها من أوامر ونواهٍ وأحكام وتشريعات، ذلك إن مهمة النص القرآني من المهمات التداولية التي يراد منها ايصال الرسائل من المخاطِب بكسر الطاء الى المخاطَب بفتحها. على أن مبدأ اختيار الألفاظ للنصوص يُعدّ الحجر الأساس في بنائها[1].

فمن الأمثلة القرآنية على ديناميكية اللفظ في الصيغة، وردت في الاستعمال القرآني لفظتا (إخوة، وإخوان)، إذ وردت لفظة (إخوة) سبع مرات، أمّا لفظة (إخوان) فقد وردت إحدى عشرة مرة[2]، فلفظة (إخوة) وردت في قوله تعالى {فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ} النساء11، وقوله تعالى {يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ} يوسف5، وقوله تعالى {وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ} يوسف 58، وقوله {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} الحجرات10، وقوله تعالى {وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} النساء176، وقوله تعالى {لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ} يوسف7، وقوله {مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } يوسف100. ولفظة (إخوة) هي جمع قلة، وترتبط دلالتها بـ (أخوة النسب)، على العكس من لفظة (اخوان) التي تدل على (أخوة الدين والصداقة)، ولكن نجد أنّ القرآن الكريم استعمل لفظة (أخوة) في مواضع جمع الكثرة من جانب، وجعلها تتجاوز دلالة (أخوة النسب) من جانب آخر، إذ تجسد ذلك في قوله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} الحجرات10، وهذا

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الاستعمال كان لتحقيق مقصد محدد، ولمنح اللفظة المعنى الأعم والأشمل المتمثل بـ ((إخوة الدين أو الصداقة))[3]، وبهذا فإن القرآن الكريم أراد أن يؤسس بل يرسخ لعمق العلاقة بين (إخوة النسب) و(إخوة الدين) بوصفه أن الدين الاسلامي هو الأب، والمؤمنون هم الأبناء، وهناك اشارة لأحد الباحثين المحدثين في ما نقله عن الفخر الرازي: ((قال بعض أهل اللغة الأخوة جمع الأخ من النسب، والإخوان جمع الأخ من الدين والصداقة، قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} تأكيدا للأمر وإشارة الى أنّ بين الأخوة من النسب والأخوة من الدين شبه كبير، حيث إنّ الاسلام كالأب قال أحدهم في التفاخر :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم[4]

أمّا لفظة (إخوان) فهي لفظة موضوعة لجمع الكثرة لذا ناسبها استعمال (إخوة الدين والصداقة) لأنها الأكثر، فوردت بهذا المعنى في قوله تعالى {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ } الأعراف202، وقوله تعالى {فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} الأحزاب5، وقوله تعالى {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا} الحشر10، وغيرها من النصوص القرآنية. على أن القرآن الكريم استعمل لفظة (إخوان) التي تدل على جمع الكثرة، للدلالة على جمع القلة، وتجسد ذلك في قوله تعالى {لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ} الأحزاب55، والدليل على استعمال القرآن هذه اللفظة للقلة يتمثل في أن مدى أو ساحة التحريم والمستثنى من ذلك التحريم (إخوة النسب) وليس (إخوة الدين) لأن تحريم من هذا النوع يخص النسب (الخاص) لا (العام). وورد ذلك الاستعمال أيضا في قوله تعالى {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ} التوبة24، فلفظة (إخوان) في هذا النص تدل على القلة، أي (إخوة النسب) لا غير، بدليل اقترانها مع الآباء والأبناء وهذا يعني أن حركة في الصيغة قد حصلت في استعمال اللفظتين، وهذه الحركية ارتبطت بمقاصد دلالية يحددها سياق الاستعمال القرآني، فقد جرى الاستعمال خلافا لما هو معهود في اللغة.

ومما تقدم يمكن القول إنّ مسألة جمع القلة وجمع الكثرة لم يطرد استعمالهما في التعبير القرآني، وقد جسد القرآن الكريم ديناميكية البنية وتحولها الى دلالة أخرى في نصوص قرآنية كثيرة، وهذا يعني أنّ ما تقرره القواعد لا يطابق الاستعمال وإنما يكون الاستعمال محكوما بالسياق، فضلاً عن أن استعمال التعبير القرآني للمفردتين كان يرتكز إلى مقاصد دلالية محددة ويرتبط بالسياق الذي تستعمل فيه المفردة بغض النظر عن دلالتها خارج السياق، زيادة على أن جموع التكسير في اللغة لا يطرد استعمالها بحسب دلالتها على الكثرة أو القلة وإنما يمكن استعمال جمع القلة في مكان جمع الكثرة وقد يكون الأمر معكوسا وهذا ما ورد في الاستعمال القرآني ويكون الفيصل في ذلك هو السياقات اللغوية.

وقد وردت تلك الديناميكية في لفظتي (عباد وعبيد)، على أنّ كليهما من نوع جموع التكسير وقد أشارت المعجمات إلى أن العبد الذي هو خلاف الحر يكون جمعه على عبيد لأنه مستعبد لغيره[5]. أما العبد الذي يدل على الطاعة والإخلاص فيجمع على عباد. على أن (عباد- وعبيد) جمع كثرة، وقد تعاورت أبنية الكثرة في الاستعمال، وقد لفت فقهاء العربية النظر الى فروق دقيقة في الاستعمال بين مباني الجموع المتحدة في دلالتها على الكثرة، وفي ذلك اشارة واضحة الى دقة الحس العربي، وصفاء طباع من ينطق بلغة القرآن، وبشأن لفظتي (عباد وعبيد) يقول ابن جني (ت392هـ): ((أكثر اللغة أن تستعمل – العبيد - للناس، والعباد لله، قال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} الحجر42، وقال تعالى {يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } الزمر16 وهو كثير. وقال: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} فصلت46.

على أن النص الذي ساقه ابن جني يحمل أكثر من دلالة للمتأمل : الأولى صريحة ، والأخرى مستنبطة من اختيار الصيغة للمعنى الذي ترمز إليه. فالأولى : أنّ مباني الجموع المتساوية في دلالتها على الكثرة بقدر ما تضيفه الى هذه اللغة من ثراء بتكثير مفرداتها، إلاّ أن العرب لا تستعملها مترادفات متحدة في معانيها وإشاراتها، وإنما تفرض عليها قيوداً بمواطن استعمالها تضفي عليها خصائص دلالية. والدلالة الأخرى: الاحساس الرفيع والذوق العالي في اختيار اللفظ المساوق

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

بحروفه، وحركاته، وأصواته للمعنى الذي يشير اليه، إذ لم يكن اختيار لفظة (العباد) لله و(العبيد) للناس مصادفةً، وإنما وراءه حس مرهف بجرس اللفظة ودقة اختيارها. هذا هو الاحساس، وتفصيله: أن الانتقال في (عباد) من الكسرة الى الفتحة ثم الى الاستطالة بالألف التي ترمز الى الرفعة وانتصاب القامة، هذا الانتقال يشير الى أن الانتساب الى الله تعالى بعبادته ينقل الانسان من منطقة الرذيلة والخنوع للند من البشر الى سمو النفس والوجه في حضرة الاله المعبود، أمّا الانتقال في (عبيد) من الفتحة الى الكسرة فالاستطالة بالياء، يوحي بانكسار النفس، واستغراقها في الذل، ومهانتها باستعباد الناس لها[6]. فإذا كان هذا هو حس العربي وسمو فطرته في التمييز بين الصيغ. فكيف الحال والقرآن الكريم الذي أيقظ في النفس احساسها بجمال الكلمة وأثرها في التخلق بجميل الفعال، وهذا ما جعل العرب يعزفون عن اطلاق لفظة (العبيد) على نصارى الحيرة حين دخلوا في إمرة كسرى، ودانوا له بالطاعة، لأنهم كانوا من اصول عربية شامخة، وهم عرب شم الأنوف فأطلقوا عليهم (العباد) لا العبيد. وهذا الاحساس المفرط في التعامل مع الفاظ اللغة واشراقات صيغها، كان للقرآن فيها ما هو ناطق بإعجاز نظمه. وتحدث ابن عطية عن استعمال القرآن للفظتي (العباد و العبيد)[7]: والذي استقرأت في لفظة العباد أنه جمع عبد متى سيقت اللفظة في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة، دون أن يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشأن. فانظر الى قوله تعالى {وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} البقرة207، وقوله {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} الأنبياء26، وقوله {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} الزمر53، وقول عيسى في معنى الشفاعة والتعريض لرحمة الله {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ} المائدة118 فنوَّه بهم، وعلى الرغم مما ذهب اليه ابن جني وابن عطية من أن (العباد) لله، و(العبيد) للناس، إلاّ أننا نعترض عليهم بقوله تعالى {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} النور32، لإنّ عطف **الإماء** على **العباد** فيه دليل على أن المراد بالعباد هم الرقيق، وهم منسوبون الى الناس بإضافتهم الى ضمير المخاطبين، فكان حقه على ما قدمنا أن يكون العبيد لا العباد، فالنص القرآني عمد الى هذه الصيغة تكريما للإماء - الرقيق - واستنفاراً لمشاعر الأخوة في الدين عند مالكيهم لإحسان معاملتهم والرفق بهم، فقد رفع الله بإسلامهم وصلاحهم منزلتهم. على أن القرآن الكريم استعمل الصيغتين في عدد من الآيات القرآنية، ويبدو من خلال السياقات التي وردت فيها اللفظتان أنّه استعمل كلا منهما بقصدية خاصة، فهو يستعمل لفظة (عباد) للدلالة على الطائعين والمخلصين له في الطاعة والعبادة ولذلك نسبهم إليه في جميع الموارد فهذا الجمع يأتي في سياق الطاعة والرفعة[8].

أما لفظة عبيد فقد استعملت في القرآن للدلالة على تقليل الشأن[9]. على أن هذا الكلام غير مطّرد في الاستعمال القرآني فقد يخالف التعبير القرآني ما ورد في الاستعمال اللغوي فيبتعد في بعض السياقات عن استعمال بنية (عبيد) إلى استعمال بنية (عباد) بقصد إكرامهم وان كانوا مسترقين لغيرهم، قال تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} النور32، إن اقتران لفظة (عباد) بالإماء والجمع بينهما بواو العطف التي تدل على التشريك يدل على أنهم كانوا من المسترقين لكنه عدل عن صيغة (عبيد) إلى (عباد) تكريما لهم وتقديراً[10]. على أن لفظة (عباد) في القرآن وردت أكثر من تسعين مرة، وفي أغلبها كانت مضافة الى لفظ الجلالة (عبادي, عبادنا, عباد الرحمن, عباد الله) ويبدو أن هذا السياق يقصد به نوعا من التكريم والتشريف لذا ورد فيه ذكر الأنبياء ووصفهم بأنهم من عباده المخلصين أو المؤمنين ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } الصافات81، وقوله {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } الصافات111، وقوله تعالى {إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } الصافات122، ومثلها آية 25 من سورة الشورى، وآية 10 من سورة التحريم، وآية 32 من سورة فاطر، وآية 63 من سورة مريم، وآية 65 من سورة الكهف، وآية 24 من سورة يوسف. إن إضافتهم إلى الله ونسبتهم اليه فيها تكريم لهم دون سواهم ومن ذلك قولة تعالى: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } الزخرف68، وقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً} الفرقان63، وقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } البقرة186.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

أما لفظة (عبيد) فقد وردت في خمسة مواضع وبالدلالة التي تقدم ذكرها ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ } آل عمران182، وقوله: {وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ } الأنفال51، وقوله: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ } الحج10، وقوله تعالى: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ }فصلت46، وقوله تعالى {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ } ق29.

ومما تقدم يمكن القول: إنّ الاستعمال القرآني للصيغتين (عبيد وعباد) لم تكن بصورة عشوائية، بل كان بقصدية معينة يوضحها السياق، زيادة على أن ما ذكره علماء اللغة من دلالة المفردتين لا يطّرد في الاستعمال القرآني، فقد استعملت اللفظتان في القرآن وكل منهما يؤدي دلالة يحددها السياق الذي ورد فيه اللفظ وربما اكسبهُ السياق حمولة دلالية غير ما ذكره اللغويون. وكل منهما تختلف عن الأخرى في سياق الاستعمال.

وقد استعمل القرآن الكريم الديناميكية نفسها في لفظتي (شهداء وشهود) على الرغم من أنّ كلاهما جمع كثرة، فيلحظ الاستعمال القرآني أنه يؤثر لفظة (شهداء) على لفظة (شهود) في كل موقع تعظم فيه الشهادة وتتطلب مزيدا من الدقة والأمانة تبعا لمستوى المخاطر التي تترتب عليها، فضلاً عن أنه يؤثرها في كل موقف يعظم فيه هؤلاء الشهداء، فالزيادة التي اصابت مبناها ترتب عليها زيادة في قدر الشهادة وشرف حاملها، ففي قوله تعالى {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} النور4، أهمية الكبيرة للشهادة، لتعلقها بالعرض - مسألة خطيرة يترتب عليها ازهاق روح المشهود عليها - لذلك فإنّ مثل هذه المسألة تتطلب الحرص في الإداء والأمانة في الشهادة، فما أبلغه من اختيار!!.

ولو عدنا الى استعمال القرآن الكريم للفظة (شهود) فإننا سنجد الدقة في الاستعمال بل الاختيار الذي يجعل المتلقي منسجما مع المعنى المراد من النص عبر استعمال لفظة (شهود) التي هي للكثرة كذلك، فهي تحمل معنى المراقبة والمشاهدة والحضور، ولا نجدها تحمل ما حملته لفظة (شهداء)، ففي قوله تعالى: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً} المدثر11-13 حديث عما وهب الله الوليد بن المغيرة من عز المال والولد بما لم يحسن شكره، وفيه وصف أبناء الوليد بالشهود للدلالة على أنهم حضور لا يغيبون عنه في تصرف[11]، بما ينبئ عن تقويه بهم، واستغنائهم بما بين أيديهم من المال عن طلبه بالسفر، وهذه المعاني ليست هي المعاني التي تعطيها صيغة (الشهداء) من إجلال قدر الشهادة وتعظيم للشاهدين.

وكذلك قوله تعالى: {وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً} يونس61، فهو الآخر فيه إخبار من الله تعالى بشمول علمه ومراقبته لأفعال خلقه، فهو معهم أينما كانوا، وليس ذلك ما في لفظة (الشهداء)، من وجوب المبالغة في التحري والاحاطة بالشهادة لأدائها على وجهها، لأنه الله تعالى غني عن ذلك[12].

وفي ضوء ما تقدم يبدو للباحث ما يأتي:

1 – إنّ الاستعمال القرآني لجموع التكسير (القلّة - الكثرة) لم يكن مطابقا لما ورد في القواعد النحوية والبلاغية، إذ للقرآن الكريم قصديته المحددة التي تتضح من خلال السياق القرآني، والتي كوّنت اسلوبه الخاص به الذي تميز به عن أساليب العرب، إذ إنّ القرآن نزل بلغة العرب وبالحروف العربية نفسها، إلاّ أنّه جاء بإسلوب لم يكن مألوفاً في النظم العربي.

2 – إنّ ما تم ذكره من دلالة لجمع التكسير (القلّة - الكثرة) لا يمكن اطّراده في الاستعمال القرآني، بدليل استعمال القرآن الكريم للبنيتين - كل بنية منهما تؤدي دلالة يحددها السياق - بل نجد السياق القرآني أحيانا يحمل اللفظة دلالة لم يذكرها أهل اللغة ،على أن السياق القرآني هو الفيصل في تحديد دلالة البنية من خلال ورودها فيه.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

أي إنّ حركية الألفاظ القرآنية عبر استعمال هذه الجموع ،كل منها بمعنى الآخر، أو اضافة معان أخرى لم يذكرها أهل اللغة، منح تلك الألفاظ امتيازاً لم يكن موجوداً لها وهي خارج السياق القرآني.

المبحث الثاني: ديناميكية الحركة

للحركة في اللغة العربية أهمية كبرى كما هو معروف، إذ كانت سبباً رئيساً من أسباب تقنين القواعد النحوية، لما لها من أثر واضح في تحديد الفاعلية من المفعولية من الاضافة أو غيرها.

بل يمكن القول: إنّ الحركات تعد من أهم ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات، لما لها اثر كبير في توجيه المعنى سواء أكانت في بنية المفردة أم في آخرها وهي التي تسمى حركات الإعراب، ويكاد يتفق النحاة والعلماء جميعهم على أن هذه الحركات دوال على المعاني وان تغيير الحركة يؤدي إلى تغيير في المعنى[13]. وهذا ما جعل علماء اللغة يحرصون كثيرا على ضبط الحركات في اللغة العربية عامة والنص القرآني خاصة.

على أن حرصهم هذا كان ناتجا من ادراكهم لأثر اختلاف الحركة على المعنى سواء أكانت حركة إعراب أم حركة في بنية الكلمة، وذلك للارتباط الوثيق بين الحركة والمعنى، بحيث شكّل ذلك ظاهرة واضحة، مما جعلهم أن يفيدوا من هذه الظاهرة، فصنّفوا فيما يسمى بالمثلثات اللغوية، وكان من أشهر هؤلاء محمد بن المستنير الملقب بـ(قطرب) (ت210هـ) وهو من تلامذة سيبويه (ت180هـ) وابن السيد البطليوسي (ت521هـ). ويقصد بالمثلثات الألفاظ التي تؤدي ثلاث دلالات باختلاف حركة الحرف الأول فيها ضماً وفتحاً وكسراً. ولما نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وجرت ألفاظه على سننهم في الكلام، فهذا يجعل فيه طائفة من الألفاظ التي تختلف دلالتها باختلاف حركة الحرف الأول منها بين الضم والفتح مثلا، وهو يستعملها ليعبر بها عن دلالات يريد إيصالها إلى المتلقي، باقترانها مع ألفاظ أخرى في السياق القرآني، على أن هذا التغير في حركة بنية المفردة يمنحها أبعاداً دلالية تتضح في الاستعمال القرآني، وهذا ما نتناوله هذا المبحث، إذ نعرض فيه بعضا من الآيات القرآنية التي حصل فيها هذا التغير في الحركات التي تتصل ببناء المفردة القرآنية مع بيان الدلالة التي تنصرف إليها في سياق الكلام ومداها الاقتراني في ميدان الاستعمال.

أي إن اختلاف الحركة في بنية اللفظة القرآنية يمنح اللفظة مساحة اضافية تضاف فيها دلالة جديدة ترشحها للدخول في سياق جديد لتؤدي وظيفة جديدة غير موجودة قبل تغيير الحركة. لذلك نجد الألفاظ التي جرى تغيّر في حركاتها تستعمل في سياقات مختلفة عن غيرها استجابة لذلك المعنى – الدلالة – الناتج من تغيير الحركة.

على أن تغيرات الحركة التي تطرأ على اللفظة تكون في موضعين، الأول منها: **يكون في حركة بنية اللفظة**، والثاني **يكون في حركة الاعراب**، ويكون البحث أولاً عن التغيرات التي تطرأ على حركة بنية اللفظة. ويقصد ببنية اللفظة: الأصوات التي تتألف منها هذه اللفظة، سواء أكانت ثلاثية أم أكثر، ومن المعروف أنّ أصوات بنية اللفظة يتصل كل منها بحركة من الحركات المعروفة في اللغة، والتغير في حركات هذه الأصوات يؤدي إلى تغير في المعنى والسياق، فمثلا يستعمل القرآن الكريم لفظتي **(السِلم - السَلم)** بكسر فاء اللفظة مرة، وبفتحها مرة أخرى، ولكل استعمال منهما معنى خاص ورد في سياقه، وقد ورد استعمال اللفظة مكسورة القرآن في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} البقرة208، ويذهب أحد المفسرين الى اتفاق أغلب العلماء على أن معنى (السِلم) هو الاسلام وهو السلام[14]، وقال أبو عبيدة: (السلم) بكسر السين والإسلام واحد[15]، وكذلك صاحب البحر المديد يذهب الى القول إنّ: ((الإسلام هو الدخول في السِّلْم))[16]، ويذكر ابن عاشور قول ابي عمرو بن العلاء[17]: وعن أبي عمرو بن العلاء السِّلم بكسر السين هو الإسلام، ويذهب الواحدي الى القول: ((إنّ معنى قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلْمِ } أَيْ: في الإسلام))[18].

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

أما استعماله للفظة السَلم مفتوحة الفاء فقد وردت خمس مرات في قوله تعالى: {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً } النساء90، وقوله تعالى: {فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ} النساء91، وقوله: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ } النحل28، وقوله تعالى: {وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} النحل87، وقوله تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} محمد35، ففي الآية الأولى ذهب صاحب البحر المديد الى القول: {وألقوا إليكم السلم} النساء90، أي: الاستسلام والانقياد[19]،وذهب الطبري[20]في تفسير الآية المذكورة الى القول: و(السَّلَم)، هو الاستسلام ... كما يقول الرجل للرجل: (أعطيتك قِيادي)، و(ألقيت إليك خِطَامي)، إذا استسلم له وانقاد لأمره. فكذلك قوله: (وألقوا إليكم السلم)، إنما هو: ألقوا إليكم قيادَهم واستسلموا لكم، صلحًا منهم لكم وسَلَمًا. وكذلك قوله تعالى: {وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ} النساء91، ذهب الشيخ الطوسي[21] الى أن معنى: (ويلقوا إليكم السلم): ولم يستسلموا، وقرئ: (لمن ألقى إليكم السلم) بفتح اللام وهو الاستسلام[22]، وقالوا: (السَّلَم) بتشديد السين وفتحه وفتح اللام، ومعناه: الاستسلام[23]. و{السلم} بفتح اللام: الاستسلام[24]، وأيضاً قوله: {فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ} النحل28، قالوا: (السَلم) بمعنى الاستسلام والخضوع والانقياد[25]، وذهبوا الى القول نفسه، أي بمعنى: الاستسلام[26]، وكذلك في بقية الآيات القرآنية.

وكذلك يستعمل القرآن الكريم لفظتي (السُّوء- السَّوء) بضم السين مرة، وبالفتح مرة أخرى، وتغير الحركة هذا أحدث اختلافاً في الدلالة، وترتب عليه اختلاف في سياق الاستعمال القرآني لكل منهما. وقد وردت لفظة (السُوء) بضم السين في أكثر من خمسين موضعا، أما لفظة (السَوء) بفتح السين فقد وردت في تسعة مواضع[27].

على أن (السُّوء) بالضم أكثر استعمالا في القرآن من (السَّوء) بالفتح، وفي هذا دلالة على سعة مساحة دلالة هذه اللفظة، ويترتب على قراءات متعددة في المعنى لها.

على أن السياق القرآني هو الذي يحدد دلالة كل من اللفظتين (بالضم، وبالفتح) فالضمة هي الحركة الأقوى والأثقل لذلك أعطيت لما فيه قوة وصعوبة ومشقة، فبالضم دلالة على ما يصيب الإنسان مشقة وصعوبة وأذى من نفسه أو من غيره (كل ذلك)، وهذا هو مسوّغ كثرة استعمالهما قياسا الى الأخرى التي (بالفتح)، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء } البقرة169، وقوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ} النساء17، وقوله تعالى: {أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} الأعراف165، وقوله تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ} يوسف53، وقوله: {وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ }: الممتحنة2، ووردت في سورة الزمر: آية 61، وسورة النمل: آية 62، وسورة النحل: آية 27، وغيرها من الآيات القرآنية[28]، على أن الفتحة أعطيت لما هو أسهل.

أما (السَوء) بفتح السين فالمقصود بها الإساءة والعمل القبيح الذي يرتكبه الفرد ومنه قوله تعالى: {عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ} التوبة98، وقوله: {مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ} النحل60، وقوله: {مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا} الفرقان40، وقوله: {الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} الفتح6، وقوله: {وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً} الفتح12، وقوله: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ} مريم28، وقوله: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ} الأنبياء74، وقوله: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} الأنبياء77، على أن اللفظة (السوء) لم ترد إلاّ في هذه المواضع التسع.

ويبدو من خلال استعمال المفردتين في السياق القرآني أنّ اختلاف الحركة بين الضم والفتح كان له الأثر في تحديد دلالة المفردة فالضمة هي الحركة الأقوى والأثقل لذا أعطيت لما فيه قوة وصعوبة ومشقة ودلالة على كل ما يصيب الانسان

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

من ضرر أو مكروهًا وأذى من نفسه أو من غيره، في حين أعطيت الفتحة لما هو أيسر وأسهل. وبسبب هذا التغير حدث التغاير في سياق الاستعمال.

ويستعمل القرآن لفظتي (الرُشْد والرَشَد)، فالرُشد بضم فسكون، والرَشد بفتحتين من الألفاظ القرآنية وهما متماثلان في البنية ولكنهما يختلفان في حركات الأصوات التي تؤلف هذه البنية، وقد منحهما اختلاف الحركات هذا اختلافا في الدلالة وفي الاستعمال. إذ وردت مفردة (الرُشْد) بضم فسكون في ستة مواضع في القرآن الكريم، في حين وردت مفردة (الرَشَد) بفتحتين في خمسة مواضع[29]، وعندما ننظر إلى سياق استعمال اللفظتين في القرآن الكريم ومديات الاقتران اللفظي لكل منهما يتضح لنا أنّ لفظة (الرُشْد) بضم وسكون ترد في مقابلة الغي وتقترن بها في سياق الاستعمال وهي تعني الصلاح والاستقامة فيما يتصل بالنفس البشرية وترويضها.

أما (الرَشد) بفتحتين فترد في مقابلة الضلال وتقترن بها وهي تعني الاستقامة في أمور الدين[30]، ويتضح ذلك جليّا بالنصوص التي تم بها استعمال اللفظتين في السياق القرآني التي سيتم اعتمادها، فلفظة (الرُشْد) بضم فسكون وردت في قوله تعالى: {قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} البقرة256، وقوله: {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ} الجن2، وقوله: {وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً } الأعراف146، وكذلك في سورة الأنبياء: آية 51، وسورة النساء: آية 6. أمّا سياق (الرَشَد) بفتحتين فهو يختلف عن الأول،إذ يعني الاستقامة في أمور الدين ومن ذلك قوله تعالى: {وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً} الكهف10، وقوله: {عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً} الكهف24، وقوله: {أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً} الجن10، وقوله: {فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً} الجن14، وقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً} الجن21.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول: إنّ اللفظتين تختلفان في الدلالةً والاستعمال، فلكل منهما وظيفة في السياق الذي وردت فيه، وهذا ناتج من اختلاف الحركات بين الضم والفتح، فالرشد بالضم يعني الاستقامة مع تصلب فيها وصعوبة، وهذا ما ينسجم مع حركة الضم وما فيها من ثقل وقوة، لأنّ ترويض النفس البشرية ليس سهلا، أمّا (الرَشد) بالفتح فهو تحري الصواب خوفا من الضلال[31]، وهو أمر فيه يسر وسهوله تنسجم مع خفة الفتحة ويبدو من خلال ما تقدم في سياق الاستعمال القرآني للمفردتين إن هناك عدولا في الحركة اقتضاه عدول في الدلالة. وقد انسحب هذا على سياق الاستعمال التداولي للفظتين فاستقلت كلٌ منهما بسياق تؤدي فيه الدلالة التي منحتها إياها الحركة بالضم أو الفتح.

ويستعمل القرآن الكريم لفظتي (الوَقر و الوِقر) الأولى بفتح الواو ، والثانية بكسر الواو ، وقد وردت مفتوحة الواو ست مرات، ووردت مكسورة الواو مرة واحدة، على أن لكل من الاستعمالين معنى خاص به يكاد يتفق عليه المفسرون جميعا، ففي قوله تعالى: {فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً} الذاريات2، وقد وردت مكسورة الواو في هذه الآية الكريمة فقط ويتفق المفسرون على أن معناها: الثقل، إذ قال الطبرسي: ((فالحاملات وقرا)) ... والوقر بالكسر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن و الوقر ثقل الأذن[32]، وقال الصافي: فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للأمطار[33]. وقال صاحب الأمثل: سأل مرّة علياً (عليه السلام) وهو على المنبر خطيباً: ما (الذاريات ذروا)؟ فقال (عليه السلام): هي الرياح. فقال: (فالحاملات وقراً) ... : هي السحاب[34].

وذهب الى القول نفسه كثير من المفسرين، فقال الطبري: وقوله: (فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا) يقول: فالسحاب التي تحمل وقرها من الماء[35]، وقال آخر : (فالحاملات وقرا) السحاب تحمل الماء[36]، وقالوا: {فالحاملات وِقْراً} أكثر أهل العلم على أن المراد بالحاملات وقراً: السحاب. أي المزن تحمل وقراً ثقلاً من الماء. ويدل لهذا القول تصريح الله جل وعلا بوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة[37]. وقال صاحب البحر المديد: {فالحاملات وِقْراً} أي: السحاب الحاملة للأمطار ، أو : الرياح الحاملة للسحاب الموقورة بالماء. وقال ابن عباس: السفن الموقورة بالناس ، فـ (وِقراً) مفعول بالحاملات البحر المديد: 141/6. وكذلك الزمخشري يقول: {فالحاملات وِقْراً} السحاب، لأنها تحمل المطر[38].

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

أمّا (الوَقر) بفتح الواو فقد وردت في القرآن ست مرات، في قوله تعالى: {وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا} الأنعام25، وقوله تعالى: {وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً} الإسراء46، وقوله تعالى: {وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً} الكهف57، وقوله تعالى {كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} لقمان7، وقوله تعالى: {وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} فصلت5، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} فصلت44. فيكاد يتفق المفسرون أن معناها مفتوحة الواو : الصمم (المانع من السمع)، فابن أبي حاتم يقول في تفسيره لقوله تعالى: { وفي آذانهم وقرا}، قال: (صَمَمٌ)[39]، ويقول القرطبي: {وفي آذانهم وقرا} أي صمما ... وفي الكلام إضمار أي: أن يسمعوه[40] وكذلك أبي السعود، فهو الآخر يقول: {وَفِي آذَانِهِم وَقْراً} صَمماً ... مانعاً من سماعه[41]، وكذلك الشيرازي يقول: (وفي آذانهم وَقراً) أي إننا غطّينا قلوبهم بأستار لكي لا يفهموا معناه[42]. وذهب ابن أبي حيان الى القول: {وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً} أي منعناهم من فهم القرآن وتدبره[43] وكذلك القمي وغيرهم من المفسرين[44].

واستعمل القرآن الكريم لفظتي (الحُزن والحَزن) بضم الحاء وفتحها، فقد وردت مفتوحة الحاء في قوله تعالى {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} فاطر34، ووردت مضمومة الحاء في قوله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ} يوسف86، وذكر ابن فارس (ت395هـ) أنّ: الحاء والزاي والنون أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدة فيه، ففتح الحاء يعني: ما غلظ من الأرض، والحُزن بضم الحاء معروف، يقال: حزنني الشيء يحزنني...[45] وذكر الراغب أن: الحُزن والحَزن: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيهمن النعم، ويضاده الفرح، ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشنت بصدره: إذا حزنته[46]. فأصلهما واحد ومادتهما واحدة والمعنى متقارب، فالحزن بالفتح مشاعر ألم في النفس، وبالضم يدل على الضيق الشديد، فالحزن بالفتح يدل على حزن لا ضيق فيه.

أمّا التغيرات التي تطرأ على حركة الاعراب، فالإعراب لغةً[47]: التبيين والايضاح والبيان، أما اصطلاحاً فهو[48]: تغيير أواخر الكلمات بسبب اختلاف العوامل الداخلة عليها. ولما كانت اللغة من وسائل الاتصال المهمة، فإن الاعراب هو الطريقة المثلى للتصرف في اللغة، ولذلك فإنّ الحركة الاعرابية مهمة جداً في تحديد المعنى، يقول الزجاجي (ت337هـ): ((إنّ الأسماء ...، جعلت حركات الاعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني ... وكذلك سائر المعاني))[49]. ويتفق ابن فارس (ت395هـ) مع الزجاجي، بقوله: ((فأما الاعراب فيه تمييز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين))[50]. ومن الأمثلة القرآنية على ذلك قوله تعالى: {أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} التوبة3، فقراءة كسر لام الرسول من أحد تلامذة الدؤلي كانت سببا في تقنين القواعد النحوية، لأن الكسر يجعل المعنى غير صحيحا، بل شِركا، لأن العطف على لفظ الجلالة[51].

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الخاتمة والنتائج

الحمد لله أولاً وآخراً، فقد تمتعنا بهذه السفرة الممتعة في الواحة الخضراء لكلام الله تعالى - القرآن الكريم - وقد تناولنا في هذه السفرة مسألة ديناميكية اللفظ القرآني وما تتركه هذه الحركية من آثار في توليد المعاني، إذ كانت قراءة مانحة للفظ القرآني والتغيرات التي تطرأ عليه أهمية كبيرة في عملية توليد معاني النصوص القرآنية، على أن مثل هذه القراءة تكشف عما تكتنز اللغة من طاقات تعبيرية، وفي الوقت نفسه هي بيان عن وسيلة ابداعية متجاوزة للوقوف عن معانٍ محددة بعينها، وتوصل البحث الى ما يأتي:

1. تيقن البحث من أن حركية اللفظ القرآني منحت النص القرآني مديات جديدة مضافة الى مدياته الأصلية في تحديد المعاني، إذ انطلق فهم النص من منطلق يعتمد فيه على تخير صيغة اللفظة، أو تخير حركتها، أو تخير اللفظة دون سواها.
2. تيقن البحث أن حركية اللفظ القرآني الناتجة من استعمال القرآن الكريم له تؤثر وبشكل كبير على المعنى، و يا لها من روعة في الاختيار ودقة في الاستعمال.
3. اتضح من البحث أن اللفظة القرآنية تتمتع بمعانٍ متعددة وهي منفردة، نتيجة لحركية هذه اللفظة عن طريق الصيغة مرةً، وعن طريق الحركة مرة أخرى، على أن هناك حركية اللفظة عن طريق الاسلوب مرةً ثالثة، مما يكشف عن المد الدلالي للنص.
4. تأكّد البحث من أنّ فهم النص مرتبط بالسياق، بل أن السياق له قسطٌ من التحكم في فهم النص.
5. تأكد البحث من أهمية اللفظ القرآني في تحديد المعاني القرآنية، والتي يترتب عليها أحياناً أحكاماً فقهية.

وفي الختام أحسب أني قدمت ما استطعت عليه من جهد، داعيًا الله تعالى أن دراستي هذه ستأتي بالنتائج المرجوة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الهوامش:

(1) ينظر : قراءات في النظم القرآني، د. عبد الواحد المنصوري : 75.

(2) ينظر : المعجم المفهرس : 34

(3) البرهان في علوم القرآن 4 / 18

(4) دقائق الفروق اللغوية / 311 و: ينظر التفسير الكبير 28 / 129 .

(5) ينظر: مقاييس اللغة : 2 /18 والمفردات : 319

(6) ينظر : الاعجاز البياني في صيغ الألفاظ : 173-174

(7) المحرر الوجيز : 481/2

(8) دقائق الفروق اللغوية /309

(9) تفسير الثعالبي382/1.

(10) دقائق الفروق اللغوية/ 302.

(11) ينظر : تفسير القرطبي : 683/8 .

(12) ينظر : الاعجاز البياني في صيغ الألفاظ : 193-194

(13) ينظر : الإيضاح في علل النحو /57

(14) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : 184/2

(15) ينظر : مجاز القرآن :

(16) البحر المديد : 120/6

(17) ينظر: التحرير والتنوير2 /223

(18) تفسير الوجيز : 55/1

(19) ينظر : البحر المديد 467/1

(20) ينظر : تفسير الطبري : 23

(21) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : 285/3

(22) ينظر : تفسير الميزان : 22/5

(23) ينظر : المحرر الوجيز : 177/2

(24) ينظر : التحرير والتنوير : 107/8

(25) ينظر : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : 497/2 .

(26) ينظر البحر المديد : 472/1، و : التسهيل لعلوم التنزيل: 82/2،و : الدر المنثور : 160/6.

(27) دقائق الفروق اللغوية /355

(28) ينظر : المعجم المفهرس : 488.

(29) ينظر: المعجم المفهرس: 425

(30) ينظر : جامع البيان /61/9

(31) ينظر : دقائق الفروق اللغوية /355

(32) ينظر :مجمع البيان في تفسير القرآن : 229/9

(33) ينظر : التفسير الصافي : 6/ 66.

(34) ينظر : تفسير الأمثل للشيرازي : 70/17

(35) ينظر: تفسير الطبري : 391/22

(36) ينظر : تفسير القرطبي : 124/8.

(37) ينظر : اضواء البيان في تفسير القران بالقرآن: 500/7

(38) ينظر : الكشاف : 408/6

(39) ينظر : تفسير ابن ابي حاتم : 5/ 208

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

(40) ينظر : تفسير القرطبي : 236/10.

(41) ينظر : تفسير ابي السعود : 346/2

(42) ينظر : تفسير الأمثل : 17/9

(43) ينظر :البحر المحيط : 109/5

(44) تفسير القمي : 10/ 4 ، و:ينظر : التفسير الصافي : 261/4، و: التفسير الآصفي : 12/3

(45) ينظر : مقاييس اللغة: 204(مادة الحزن).

(46) ينظر : مفردات الفاظ القرآن : 345

(47) ينظر : لسان العرب : 587/1،و: تاج العروس :741/1.

(48) ينظر : حاشية الصبّان على الأشموني : 15/1، و : المفصّل في العربية : المقدمة

(49) الايضاح في علل النحو : 69

(50) الصاحبي في فقه اللغة : 309

(51) ينظر : نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء : 5-6،و: الفهرست : 39/لابن النديم.

روافد البحث

- القرآن الكريم

- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ،دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، المؤلف: د. محمد الأمين الخضري، الناشر: مطبعة الحسين الإسلامية، مصر- القاهرة ،ط 1 ، 1413هـ- 1993م .

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، دار الفكر، 1415هـ - 1995م .

- الأَمْثَلُ في تفسير كتابِ اللهِ المُنْزَل ،تَأليف : العلاّمة الفقيه المفسّر آية الله الشَّيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي

- الايضاح في علل النحو - ابو القاسم الزجاجي - تح مازن المبارك دار النفائس ط،2 1363هـ

- الإيضاح في علوم البلاغة ، المؤلف: جلال الدين القزويني الشافعي ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، المعروف بخطيب دمشق (ت 739هـ)،تحقيق :محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت ، ط3

- البحر المحيط. ، محمد بن يوسف الأندلسي ،أبو حيان،.ط3. دار المعرفة، بيروت: 1393هـ

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: ابن عجيبة الحسني ، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1419هـ - 1999م.

- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي - تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم - دار التراث - القاهرة 1984

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت 1205هـ)،تحقيق : مجموعة من المحققين ،الناشر: دار الهداية

- التفسير الكبير - الفخر الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - 2000 م

- تَفسير الصَّافي ، تَأليفْ : فيلسوف الفقهاء ، وفقيه الفلاسفة ، أستاذ عصره ووحيد دهره ، المولى محسن الملقب بـ (الفيض الكاشاني)(ت 1091هـ)،صححه وقدّم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي .

- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)،الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م .

- التفسير الكبير فخر الدين محمد بن عمر الرازي، .. ط1. ، دار الكتب العلمية، 1411هـ

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

- تفسير التبيان، لشيخ الطائفة الطوسي(ت460هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف،1383هـ.1963م
- تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- التسهيل لعلوم التنزيل ، المؤلف: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم ، تحقيق : محمد سالم هاشم ، الناشر: دار الكتب العلمية ،1415 هـ - 1995م.
- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)،المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ)، تحقيق : الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،ط 1 ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط 1، 1418 هـ .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،جلال الدين السيوطي(911هـ) تحقيق :عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ،ط 1 ، 1424هـ - 2003م .
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري. تحقيق محمود شاكر. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ،الرياض: مكتبة الرياض، د.ت.
- حاشيه الصبان علي شرح الاشموني علي الفيه ابن مالك في النحو، المؤلف: الصبان-الاشموني، المطبعة الوهبية -مصر سنه 1288هـ اديان .
- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني - محمد خضر الدوري - كلية التربية - جامعة بغداد 2005 .
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبو الحسين(ت395هـ) تحقيق : أحمد حسن بسج، الناشر: دار الكتب العلمية، 1418 هـ – 1997م.
- الفروق اللغوية - ابو هلال العسكري - محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية بيروت 2010 .
- الفروق الدلالية في الاسلوب القرآني، الدكتور حسين عودة هاشم ، كلية التربية _ جامعة البصرة، مطبعة البصائر، لبنان، ط 1، 1434هـ - 2012م.
- الفهرست، المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت 438هـ)، تحقيق : إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، ط 2، 1417 هـ - 1997 مـ
- قراءات في النظم القرآني ، د عبد الواحد المنصوري، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، 1434هـ - 2014م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، ط 3 ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ .- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر - بيروت - د – ت.
- لسان العرب تأليف : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت: 711هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الثانية .
- المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصبهاني،. تحقيق صفوان داوودي. ط1. دمشق: دار القلم، د.ت
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز عبد الحق بن غالب ابن عطية،.. ط1. الدوحة ، 1409هـ
- مجاز القرآن تأليف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت 209هـ) المحقق: محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة الطبعة: 1381 هـ

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (548هـ)،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1429هـ- 2008م .
- المعجم المفهرس - محمد فؤاد عبد الباقي - قم المقدسة 1383 .
- المفردات في غريب القرآن - الراغب الاصفهاني - تح هيثم طعمة - دار احياء التراث - لبنان 2008.
- مقاييس اللغة ، ابن فارس - تح عبد السلام هارون - دار الجبل - بيروت لبنان 1999م .
- الميزان في تفسير القرآن - السيد الطباطبائي - الأميرة للطباعة والنشر - لبنان 2010 م.
- المفصل في علم العربية، المؤلف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) ، دراسة وتحقيق : فخر صالح قدارة ،دار عمار – دمشق، 1425 هـ- 2004 م.
- مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)،تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ- 1979م .
- مفردات ألفاظ القرآن ، المؤلف: الراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم - الدار الشامية، ط 4 ، 1430هـ- 2009م .
- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم ، المؤلف: محمد بسام رشدي الزين ط1416،1 هـ- 1995 م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)،تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت 577هـ)، تحقيق : إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن ،ط 3، 1405 هـ- 1985م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي محمد علي دخيل ،دار المعارف للمطبوعات.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548